القابضون على الجمر على موعد مع الوفاء

غسان مصطفى الشامي

الكتابة والحديث عن أسرى فلسطين شيء ليس بالسهل على النفس، وليس بالسهل على العقل والفكر والوجدان، فعندما نتحدث عن هؤلاء الرجال الأبطال أصحاب الصمود الأسطوري، يجتمع في الفكر والوجدان طعم آخر للحديث إنه طعم الصبر والصمود وطعم العطاء والتضحيات الجسام لهؤلاء الرجال أصحاب الوفاء ، هؤلاء الرجال الذين قضوا أجمل أيام العمر خلف قضبان السجون، هؤلاء الرجال القابضون على الجمر، ويحيون الحياة بطعم الصبر والوفاء .

هناك في سجون الاحتلال يقبع أكثر من ستة آلاف أسير فلسطيني، يعيشون الأيام والساعات والليالي حياة المجاهدين أصحاب الوفاء حياة المرابطين خلف أسوار وقضبان السجون؛ ولا نفي بحقهم عند الحديث عن معاني الصمود والصبر وعن معاني الوفاء لهؤلاء الرجال الذين يكابدون الآلام والمعاناة بكل تحدي وكبرياء لظلمة السجن وجبروت السجان؛ ورغم المعاناة وظلمات السجن لم تكسر عزيمته ولن تلين إرادتهم.

ويوما بعد يوم تتكشف لنا النوايا الإجرامية لحكومة (نتنياهو) الفاشية تجاه صمود أسرانا البواسل، وكل يوم تزداد المعاناة والآلام على الأسرى، وتتربص الأمراض المستعصية بأجسادهم النحيلة، ويعيشون حياة أشبه بالموت من شدة العذابات والمعاناة اليومية ، فضلا عن قيام سلطات الاحتلال بين الفنية والأخرى باقتحامات لأقسام السجون باستخدام القوة المفرطة بحق الأسرى.

في سجون الاحتلال يتعرض أسرانا البواسل لأقسى أنواع وأساليب العذاب، يواجهون في هذه السجون بكل تحدي وعزيمة وإصرار أساليب الموت البطيء، هذا الأسير يتجرع المعاناة والآلام في كل ساعة ودقيقة من أيام السجن، بل وتتعمد سلطات الاحتلال إذلال الأسير والعمل على كسر عزيمته وإرادته، وتدمير الروح المعنوية له، من أجل كسر روح الثبات والصمود والتحدي لهذا الأسير.

ولقد أفادت حديثا هيئة شؤون الأسرى والمحررين في بيان لها في اليوم العالمي للتضامن على الأسرى المرضى أن هناك حوالي (١٧٠٠) أسير فلسطيني مريض، فيما يرتكب الاحتلال بحق هؤلاء الأسرى المرضى جرائم طبية ممنهجة، خاصة أن الأطباء الصهاينة في سجون الاحتلال لا يُقدمون العلاج المناسب للأسرى المرضى، كما لا تتوفر في عيادات السجون أساليب الرعاية الصحية السليمة والمتابعة المتواصلة للأسرى المرضى، و من بين الحالات المرضية العشرات من الأسرى من ذوي الاحتياجات الخاصة، وهناك عدد كبير مصابين بأمراض خطيرة ومزمنة.

ولقد أثلج صدورنا وصدور جميع أبناء شعبنا الفلسطيني الاعلان عن كذب وافتراء رئيس الوزراء الصهيوني "نتنياهو" فيما يخص جنوده الأسرى.

وأتذكر هناك مشهد الانتصار والعزة للإفراج عن الأسرى في صفقة وفاء الأحرار الأولى في الثامن عشر من أكتوبر من عام ٢٠١١م وأتذكر كيف استقبلت غزة هؤلاء الأبطال في كافة شوارعها والميادين .

إن ما يحياه أكثر من ٦٠٠٠ أسير فلسطيني في سجون الاحتلال فوق الأرض والسجون السرية تحت الأرض لابد أن يكون الشغل الشاغل للمسلمين والعرب ، وأن تكون قضية تحرير الأسرى الفلسطينيين هي القضية المركزية، والأساسية في كافة الاجتماعات العربية.

وأمام الواقع الصعب والمرير لأسرانا البواسل في سجون الاحتلال، متى يصحو المجتمع الدولي من كبوته، ومتى تنهض المؤسسات الأممية لتنقذ أسرانا البواسل من خطر الموت الداهم، وتنقذ الأسرى المرضى من الموت في السجون الصهيونية.

أما آن الأوان لأن تنتهي معاناة أسرانا البواسل ويعودوا لأحضان أهلهم وأطفالهم، أما آن الأوان أن يحيا الأسير حياة كريمة وأن يرى شمس الحرية، وان يسعد بباقي أيامه وحياته القصيرة، أمام آن الأوان أن يتوقف مسلسل الموت البطيء لأسرانا البواسل في سجن الاحتلال؟؟.

كاريكاتير أعجبني

كيف نحزم التطرف والإرهاب؟

د. حسين الديك

لقد اصبح مفهوم الارهاب سلعة يتداولها العالم ويطرحها ليل نهار في كافة مناحي الحياة لما لهذه السلعة من تاثير في كافة جوانب الحياة السياسية و الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وتطال كافة المجتمعات الانسانية فهي لا تقتصر على منطقة دون اخرى او على دولة دون اخرى بل اصبحت سلعة معولة و عابرة للحدود والقارات والمجتمعات ، وتبرز الاشكالية الكبرى في عدم القدرة على مواجهتها كونها اصبحت جزءا من الحيز العام الدولي ومخترقه له عبر الاعلام الاجتماعي ووسائل الاتصال التكنولوجي.

ولكن القضية الاهم هي مشكلة التعامل مع هذا الواقع المعولم والمنتشر في العالم ، فكل المحاولات التي قدمت لهزيمة الارهاب والتطرف والقضاء عليه باءت بالفشل انطلاقا من افغانستان الى العراق واليوم سوريا وليبيا واليمن والصومال وغرب افريقيا وجنوب شرق اسيا ، اذ اصبحت تلك الاقاليم عبارة عن مستنقع لتصدير الارهاب والتطرف الى شتى بقاع الارض و الى كل المجتمعات ، لكن كل المحاولات التي بذلت للتصدي لهذه الظاهرة والقضاء عليها كانت محاولات سطحية تتعلق بالشكليات والظاهر ولا تعالج المضمون والمنبع والجذور المغذية لهذه الظاهرة المعولة ،كالشجرة ذات الاغصان الكثيرة اذا قطعت قمة الغصن او الفرع فانها تطلق العشرات من الاغصان والفروع لان الجذور تبقى قوية وتنتج البديل ، وهكذا ظاهرة الارهاب والتطرف مهما تم مجابهتها بالقوة المادية والعسكرية وباقوى انواع الاسلحة الفتاكة لم تستطع ايقافها او القضاء عليها او الحد من انتشارها بل تزداد قوة يوما بعد يوم وتتمدد وتنتشر.

فالارهاب ليس ممارسة مادية فقط ، بل هو فكر وتغذية فكرية وفطرية وروحية وعقائدية متجذرة استطاعت الجماعات الارهابية المتطرفة نشرها في عقول الشباب الذي يمارس تلك الممارسات اللانسانية من قتل وتدمير ورفض وتحجيم لدور العقل واطلاق العنان للقلب والعاطفة في الحكم استنادا الى مسلمات باطلة وغير موجودة ، فهذه الظاهرة المعولة والمنتشرة يمكن ايقافها والقضاء عليها في حالة اننا استطعنا السيطرة على منابعها ومعرفة الاسباب التي تؤدي اليها ومعالجة تلك الاسباب معالجة جذرية توقف تدفق الشباب لتلك الجماعات وتوجههم نحو مستقبلهم في الابداع والانجاز وتحقيق الذات وحب الحياة ، فنحن بحاجة الى تجفيف المستنقعات قبل محاربة البعوض .

ومن هنا فان التعبئة الفكرية برفض الاخر واعتباره شيطان وعدو تتحول الى ممارسة عملية لدى الشباب المندفع والملتحق بتلك الجماعات التكفيرية والارهابية التي ترى ان هذا الطريق هو طريق الخلاص والنجاة.

ومن هنا فنحن بحاجة للقضاء على الارهاب والتطرف ولكي نهزم هذه الظاهرة نحتاج للعديد من الاشياء ولكنها اشياء بسيطة وحاسمة ومؤثرة وقادرة على وقف انتشار وتمدد تلك الظاهرة ،فالاسلحة والطائرات والاساطيل والبوارج البحرية والجوية والجيوش البرية لن تستطيع هزيمة هذه الظاهرة ، ولكن لكي نهزم هذه الظاهرة ونقتلعها من جذورها فنحن بحاجة الى بدائل اخرى ، نحن بحاجة الى القلم والكلمة الطيبة والثقافة ، نحن بحاجة الى مناهج تعليمية عصرية وحديثة تعزز قيم الحرية وقيم الاعتراف بالاخر وقيم التسامح والتعاون والتعارف والاحترام المتبادل ، بحاجة الى تربية وتنشئة أسرية صحيحة تغذي قيم الحياة والمحبة والسلام في نفوس ابنائنا وبناتنا وشبابنا ، بحاجة الى التعاون معا من اجل مستقبل افضل للجميع ، بحاجة الى استقرار اقتصادي وتوفير فرص عمل لكل الشباب الخريجين والعاطلين عن العمل ، بحاجة الى دولة حديثة تعزز قيم المواطنة والمساواة، بحاجة الى فصل السلطات وتعزيز سيادة القانون ، بحاجة الى محاربة الفساد والانظمة الفاسدة ، بحاجة الى تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص والمساواة للجميع ، بحاجة الى خطاب ديني معتدل يمثل الاسلام الحقيقي الذي يدعو الى التسامح وعدم الاعتداء على الاخر ويحرم قتل الانسان، بحاجة الى التحرر من دجالي السياسة ، بحاجة الى التحرر من خطابات الشعارت الرنانة والبراقة ، بحاجة الى التحرر من ثقافة التخوين والتكفير، بحاجة الى استراتيجية تعليمية و تنشئة اسرية صحيحة تسمو الى خلق جيل مثقف متعلم منتج ومبدع يستخدم العقل في كل تصرفاته ، بحاجة الى جيل يحارب من اجل تحرير العقل من التخلف والجهل والرجعية، اذا حققنا كل هذا نهزم الارهاب والتطرف وتنتهي تلك الظاهرة المرعبة اللانسانية.

jadl@albiladdaily.com
يتم إرسال مقالات الكتاب على العنوان أعلاه

(همزة وصل)

(برامج زمنية للعمرة والسياحة والعلاج)

أحمد مكي

أصبحت المدينتان المقدستان مكة المكرمة والمدينة المنورة تشهدان طيلة موسم العمرة .اعداد هائلة من الزوار والمعتمرين يتجاوز عددهم عن عشرة ملايين معتمر وزائر.

يستمر موسم العمرة على مدى تسعة اشهر يبدأ مع غرة شهر صفر وينتهي منتصف شهر شوال بعد إنتهاء عمرة شهر رمضان المبارك لبدء الخطة الموسمية الخاصة بموسم الحج الذي ينتهي منتصف شهر محرم كل عام وحتى تواكب وزارة الحج.

هذه الزيادة المضطردة بمنح تأشيرات العمرة والزيارة اقتراح على القائمين عليها ان تتيح وتمنح عدة خيارات لوكالات السياحة الدينية

وشركات ومؤسسات العمرة من داخل وخارج المملكة تتعلق بمدة أيام العمرة والزيارة لمن يريد ذلك حسب طلبه.بحيث تقوم بتقسم مدة الخمسة عشر يوماالتي تعطى للمعتمرين والزوار حاليا وتوزعها على ثلاثة برامج مختلفة ..الاولى مدتها خمسة أيام والثانية ضعفها تصل لعشرة ايام والثالثة تظل كماهي مدتها خمسة عشر يوما تكون متاحة للجميع بتحديد خياراتها لكي تساهم مثل هذه البرامج بزيادة قبول اعدادهم.

ومن جهة اخرى تقليص مدة إقامتهم بالمدينتين المقدستين للتخفيف عليهم من عبء التكاليف والمصروفات وربما يكون رغبة البعض وحاجتهم لذلك إن لم يكون السواد الأعظم منهم..خصوصا الذين يهمهم الوقت اوتخفيض المصاريف نتيجة طول المدة المتعلقة بالسكن والإعاشة والتنقل بالمواصلات العامة ولديهم المقدرة على أداء مناسك العمرة والزيارة بشكل سريع بحيث يقضون يوما في مكة واخر بالمدينة ويرغبون المغادرة في اليوم الثالث او الرابع وليس لديهم متسع من الوقت او تمديد اوقات إجازاتهم الوظيفية حسب أعمالهم..او قد يكون بسبب قلة المال نتيجة الازمات الاقتصادية التي يشهدها العالم عموما والأوطان العربية والإسلامية على وجه الخصوص.نتيجة انخفاض اسعار البترول والسياحة وموجة الغلاء وارتفاع الاسعار عالميا

وانخفاض العملات .و.و.الخ.!!

فهل تدرس وزارتنا الموقرة مثل هذا المقترح لكي تحقق اماني البعض ..وتمنح من يريد البقاء بالمملكة لمدة شهر بهدف زيارة بعض المناطق السياحة بالمملكة اوبقصد العلاج .؟

الفلسطيني الجديد وغيره

تحسين يقين

أدرك مكتب منسق شؤون الحكومة الإسرائيلية في "المناطق" أهمية المعلومات الاستخبارية ولكنهم يدركون أيضا ضرورة فهم "روح العصر" بما لا يقل عن أهمية المعلومات، لذلك يقوموا بقراءة ما يكتب على مواقع التواصل الاجتماعي، ويلتقون مع مختصين في علوم الاجتماع وباحثين وصحافيين فلسطينيين. ويتضح من هذه اللقاءات والأحاديث أن الضفة الغربية وقطاع غزة تشهد مولد "فلسطيني جديد" فلسطيني شاب ومثقف لكنه أيضا يعاني من البطالة والإحباط وغياب أفق المستقبل أو أي أفق شخصي أو وطني. فلسطيني من أبناء جيل لا يخاف كثيرا من إسرائيل كما كان والداه،الشاب الفلسطيني الجديد يريد التغيير وإنهاء الاحتلال أيضا.

الفقرة السابقة جاءت في الجزء الأخير من تقرير صحفي إسرائيلي المحلل العسكري، والصحفي الإسرائيلي المعروف "يوسي مليمان"، ترجمته وكالة معا ونشرته في ٢٦ /٣ /٢٠١٦ بعنوان "ماندیلا فلسطين" وسيناريو خلافة "أبو مازن".

ولما كان الشباب والشابات هم وهن الفئة الأكثر فاعلية وتأثير تاريخيا كونهم الفئة الطليعية غير المرتبطة بالمصالح، وحركة رأس المال، فإن هناك دوما رصدا لاتجاهاتهم، خصوصا في بلد مثل فلسطين، يعاني الاحتلال والصراع.

توصيفنا:لأنفسنا أمام أنفسنا، وتوصيفنا لأنفسنا أمام الآخرين، وتوصيف الآخرين لنا، ولهم: العدو منهم والصديق.

بم نبدأ؟ الجواب هو بمعرفة الهدف، وهو معرفة تفكير الشباب في فلسطين الآن، وفي المستقبل، ليتسنى للمهتم أنى كان، إعداد خططه للتفاعل والاشتباك وتلبية الحاجات وللمواجهة أيضا.

ما الذي أدركه مكتب منشق شؤون الحكومة الإسرائيلية في "المناطق"؟

أدرك ما يلي: تشهد الضفة الغربية وقطاع غزة مولد "فلسطيني جديد" فلسطيني شاب ومثقف لكنه أيضا يعاني من البطالة والإحباط وغياب أفق المستقبل أو أي أفق شخصي أو وطني

– جيل فلسطيني لا يخاف كثيرا من إسرائيل كما كان والداه

– جيل يتجه بنظره غربا نحو الديمقراطية والمجتمع والثقافة ، كمثال جدير بالاقتداء ولا ينظر نحو الشرق أو الجنوب باتجاه القاهرة أو دمشق – الشاب الفلسطيني الجديد يريد التغيير وإنهاء الاحتلال أيضا.

وقد عمدنا للتفصيل من أجل التحليل والفهم. وكل النقاط الأربع مرتبطة ببعضها بعضا؛ فلأنه جيل مثقف له معاناته الداخلية الخاصة بمجتمعه، ومعاناته في العيش تحت الاحتلال، فلماذا يخاف؟ ومن الطبيعي أن يكون الهدف– الحاجة، التغيير وإنهاء الاحتلال، ولا يهم بم يبدأ، المهم إحداث التغيير المنشود والذي لا يمكن أن يكون حقيقيا وواقعيا وعمليا إلا بإنهاء الاحتلال. والتغيير المنشود هو الاستجابة ل"روح العصر" بعدم تكرار إعادة إنتاج مجتمعات عربية يعاني في ظلها المواطنون والشباب أيضا.

بم نبدأ؟ بتوصيفنا لأنفسنا أمام أنفسنا، أم بتوصيفنا لأنفسنا أمام الآخرين، أم بتوصيف الآخرين لنا؟

يبدو أن هناك تشابها بين الثلاث توصيفات، باختلافات طفيفة. ومصدر هذا التشابه هو لزوم التناول الموضوعي.

أما الجامع لتلك التوصيفات فيتلخص بإنهاء الاحتلال وإنفاذ التغيير المجتمعي المنشود في الإدارة والحكم والثقافة.

وما دام الأمر على هذا النحو، فينبغي التفكير والتطبيق العملي فلسطينيا وإسرائيليا ودوليا بما يفكر فيه الشباب.

فلسطينيا إذا صفت النوايا، فإننا نتوقع أن يقوم القادة الفلسطينيون في مجالات الحكم والإدارة بالبدء بإجراء التغيير.

أما إسرائيليا، فإن على إسرائيل حسم أمرها، إما دولة للجميع أو دولتان، أما أن تطبق وعد بلفور، ولا ترى في شعبنا غير أقلية سكانية فأمر لا يقبله أحد، عدوا كان أو صديقا.

دوليا، على المجتمع الدولي مساعدة الفلسطينيين والإسرائيليين، بتسهيل إجراء التحول الديمقراطي الحقيقي في فلسطين، والسعي لإنهاء الاحتلال. ولا أرى أن هناك ما يلزم للإضافة. بل إن لم نفعل كلنا مجتمعون هذه الوظائف فأي عمل آخر سيكون من تضييع الوقت وإطالة عمر الاحتلال وبقاء المجتمع على ما هو عليه الآن من تأزم.

فلسطينيا، جرت مؤخرا بضع محاولات جادة للتعرف على تفكير الشباب واتجاهاتهم تجاه ما يدور، بتركيز خاص على القضية الوطنية والصراع والإدارة والحكم، ودور الشباب في التغيير. من هذه المحاولات الجادة ما فعله مركز "الأرض" في رام الله، حيث تمحور مضمون ومحتوى

> **التغيير المنشود إن حدث، فسيكون هدفه العدالة الاجتماعية، لكنه وإن لم يحسم مستقبلا أمر الاحتلال، فإنه سيمهّد لتجليات إستراتيجية أخرى**

فرضية سؤال البحث الذي يجريه حول ما اذا كانت الحالة الراهنة تحمل في أحشائها إمكانية ولادة حركة وطنية، جديدة قادرة على استنهاض وتنظيم النضال الوطني بأدوات أكثر قدرة على إنهاء الاحتلال، وبما يمكن من احداث التغيير الداخلي الديموقراطي القادر على الإجابة على تحدي الاحتلال وإنهائه. انطلق السؤال الوطني الملتزم من ثقافة الشباب كمحرك لأي حراك فاعل، حيث أظهر الشباب عدم رضاهم وطموحهم للتغيير، وإن لم يستطيعوا تماما رسم آليات صنع التغيير.

من هذه المحاولات الفلسطينية أيضا، (والتي تصف أنفسنا لأنفسنا وللآخرين) بعض الاستطلاعات. ولم تبعد نتائجها عما أدركه "منسق شؤون المناطق". ولعنا نتذكر حراك الشباب قبل بضع سنوات على دوار المنارة، حينما كان أمامهم خياران، فاختاروا التوجه لمنطقة البلوع في البيرة، كمنطقة اشتباك مع قوات الاحتلال، مؤجلين الخيار الآخر، أو نافيين له، بسبب سلم الأولويات من جهة، وبسبب عدم الوقوع في التناقض الداخلي من جهة أخرى.

وجاءت طاولة مركز العالم العربي للبحوث والتنمية "أوراد" المستديرة بعنوان "ثقافة ومشروع منظمة التحرير الفلسطينية: هل ما زال ذو صلة؟"، على هامش نتائج استطلاع الشباب الفلسطيني التي نشرها المركز مؤخرا، "في ظل مراوحة القضية الفلسطينية في مكانها وتراجع الطروحات السياسية الناظمة والموجهة للوضع الفلسطيني وثقافته السياسية عبر الأجيال. قام المركز بالعمل على تأطير نقاش جدي ومسؤول يجمع من خلاله فئات ذات أهمية وفاعلية على المستوى الأكاديمي والواقع على الأرض، كجزء من مجموعة من اللقاءات المستمرة التي يجريها لبحث تطورات الوضع الفلسطيني وتقييم جوانبه المختلفة والإجابة على أسئلة جدية منها ما يتعلق بنظرة الشباب الفلسطيني لمستقبل مشروع الدولة الفلسطينية والثقافة السياسية السائدة والتباين الكبير بين الاجيال وما يعنيه من دق ناقوس خطر تجاه المستقبل".

حسب أوراد، فإن ٦٧٪ من الشباب يؤيدون استمرار الانتفاضة. لماذا؟

طبعا ومن الطبيعي أن تزداد نسبة المؤيدين للوسائل المسلحة، لسبب بسيط وهو الضغط الفعلي على إسرائيل لتنهي احتلالها.

ومن الطبيعي، في ظل طريق المفاوضات المسدود، وفي ظل الأزمتين السياسية والاقتصادية أن يكون الشباب حسب أوراد غير مبالين سياسيا ولا حزبيا، حيث أنهم يختبرون يوميا مدى كون المنظمة أداة تحرر وطني واجتماعي.

مهما كان التناول السياسي مهما، فإن هناك ما هو أهم: الخبز! وأظن أنه سيأتي باحث مؤرخ بعد بضع سنوات، بعد إنجاز التغيير، ليستنتج بأن أداء السلطة الوطنية اقتصاديا هو ما دفع للتغير لا الأداء السياسي، بل ليعرض أيضا بأنه كانت هناك مجالات ممكنة لتطوير بروتوكول باريس الاقتصادي، والذي رغم قصوره، فإننا لم نستفد منه بالشكل الأمثل. وليخلص بأن البطالة التي يعاني منها عشرات آلاف الشباب، إن لم يكن مئات الآلاف، خصوصا بطالة الخريجين، هي التي أخرجتهم إلى الشوارع. إن الإخفاق الاقتصادي، والبطالة والفقر هي كلها مهددات أي نظام.

إن الشباب والمواطنون/ات بشكل عام يبحثون عن أداة تحرر وتنمية أخرى، لكنهم من الذكاء يريدونها غير مكلفة بشريا.

وهذا ما استخلصه منسق شؤون الحكومة في المناطق" حين قال "الجمهور الفلسطيني في الضفة الغربية، وفقا لما يمكننا قياس مزاجه واتجاهه العام، معني بإنهاء سلطة الاحتلال الاسرائيلي دون ان يؤدي ذلك الى المساس بنسيج حياته وروتينها".

وهكذا، فإن التغيير المنشود إن حدث، فسيكون هدفه العدالة الاجتماعية، لكنه وإن لم يحسم مستقبلا أمر الاحتلال، فإنه سيمهّد لتجليات إستراتيجية أخرى، ستتقاطع مع التغيرات التي تصيب الشباب في إسرائيل، واليهود الشباب من مناهتن بنيويورك إلى بلاد أخرى، حيث يبدو أنهم سيصيرون أكثر تحررا في التفكير بالصراع العبثي، خصوصا وهم يرون الشباب من أصول فلسطينية وعربية وإسلامية عن قرب ويعرفونهم بالتجربة بعيدا عما تم تصويره لهم عبر الصور النمطية المشوهة.والذين سيرون في دولة واحدة يعيش فيها الجميع أمرا مفروغا منها ولا حاجة للبحث فيه.

ربما أو هكذا يكون، بذور القديم تبقى وتلك قصة الحضارة، وفي الحالة الفلسطينية نحمل الكثير من القديم، خصوصا إذا ما تعلق الأمر بحقوق شعبنا في الحرية والاستقلال وتقرير المصير.

ماذا بعد أربعين سنة من يوم الأرض؟

ياسين السعدي

واستعملت كلمة (سنة) لأن السنة تطلق على الزمن الصعب والمعاناة، بينما كلمة (عام) تطلق على زمن الاستقرار والطمأنينة، كما في قوله سبحانه وتعالي: (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما). سورة العنكبوت: آية ١٤.

مرت الذكرى الأربعون ليوم الأرض يوم الأربعاء في الثلاثين من آذار الماضي فهل نعد هذه (الأربعين) من السنين أم من الأعوام؟ وفي التفاتة سريعة لا بد من الرجوع إلى جذور هذا اليوم المميز والحدث الراسخ في ضمير الشعب الفلسطيني في كل أماكن تواجده.

تعود أحداث يوم الأرض الفلسطيني لسنة ١٩٧٦م بعد أن قامت سلطات الاحتلال الإسرائيلية بمصادرة آلاف الدونمات من الأراضي الفلسطينية العربية ذات الملكية الخاصة أو الشاع في نطاق حدود مناطق ذات أغلبية سكانية تحت غطاء مرسوم جديد صدر رسمياً في منتصف السبعينات، أطلق عليه اسم مشروع: (تطوير الجليل)، والذي كان في جوهره الأساسي هو: (تهويد الجليل). وعليه كان السبب المباشر لأحداث يوم الأرض هو قيام السلطات الإسرائيلية بمصادرة ٢١ ألف دونم من أراضي عرابة البطوف وسخنين ودير حنا وعرب السواعد وغيرها في منطقة الجليل في فلسطين التي احتلت سنة ١٩٤٨م.

وهي القرى التي تدعى اليوم (مثلث الأرض)، وتخصيصها للمستوطنات الصهيونية في سياق مخطط تهويد الجليل، علما بأن السلطات الإسرائيلية قد صادرت خلال السنوات ما بين ١٩٤٨–١٩٧٢م أكثر من مليون دونم من أراضي القرى العربية في الجليل والمثلث، إضافة إلى ملايين الدونمات الأخرى التي استولت عليها سنة ١٩٤٨م.

> **سوف تظل كل الأيام أيام الأرض، وسوف تظل أيام الأرض متواصلة، ما دام الاحتلال قائما، يمارس سياسة النهب للأرض العربية الفلسطينية**

وعلى أثر هذا المخطط العنصري قررت لجنة الدفاع عن الأراضي بتاريخ ١ /٢ /١٩٧٦م عقد اجتماع لها في الناصرة، بالاشتراك مع اللجنة القطرية لرؤساء المجالس العربية وتم إعلان الإضراب العام الشامل في ٣٠ آذار (مارس) احتجاجا على سياسة المصادرة.

وكالعادة كان الرد الإسرائيلي عسكرياً دموياً؛ إذ اجتاحت قواته مدعومة بالدبابات والمجنزرات القرى الفلسطينية والبلدات العربية وأخذت بإطلاق النار عشوائيا، فسقط الشهيد خير ياسين من قرية عرابة، وبعد انتشار الخبر صبيحة اليوم التالي ٣٠ آذار انطلقت الجماهير في تظاهرات عارمة فسقط خمسة شهداء آخرين وعشرات الجرحى.

صادرت السلطات الإسرائيلية مساحات شاسعة من أراضي القرى العربية المذكورة لبناء المستوطنات التي أقيمت كأنها الأبراج المشرفة على تلك القرى، بحيث يكون بالإمكان التحكم بمصيرها من حيث الحركة والتمدد العمراني؛ كما نلاحظ في بناء المستوطنات عندنا في الضفة الغربية وكذلك في الجليل.

في الطريق من أقصى نقطة في الضفة الغربية في محافظة جنين شمالا إلى أبعد نقطة في محافظة الخليل جنوبا مرورا بمنطقة القدس، تقام المستوطنات أو يتم توسيعها في الأماكن الحساسة التي تمثل كل مستوطنة منها برجا للمراقبة.

لكن المشكلة الأكبر من ذلك هي ما تقوم به إسرائيل من مصادرات متتالية بحجة (التوسع العمراني)، كما نقرأ دائما في وسائل الإعلام، بحيث يكاد لا يمر يوم إلا ويتم الإعلان أن الحكومة الإسرائيلية صادقت على بناء عدد من الوحدات السكنية في المستوطنة الفلانية أو المستوطنة الأخرى؛ بحيث يكون عددها بالمئات وأحيانا بآلاف الوحدات السكنية، ويكون التوسع بمصادرة المزيد من أراضي المواطنين الفلسطينيين طبعا.

ورد في الأخبار في الذكرى الأربعين ليوم الأرض، خبر يعتبر تحديا للفلسطينيين وللعالم الذي يعلن كثير من دوله وقادته ومؤسساته المختلفة التنديد بالتوسع الاستيطاني، ويعلن عدم اعترافه بالاستيطان ويعتبره عملاً غير شرعي. وفي تصريحات مخادعة يطلق بعض الداعمين للاستيطان بأنهم لا يعترفون ب (الاستيطان غير الشرعي) كأن هناك استيطانا شرعيا واستيطانا غيرَ شرعي.

يتم التوسع العمراني الاستيطاني بينما يتم هدم الكثير من الأبنية الفلسطينية بحجة عدم الترخيص في الوقت الذي لا يحصل المواطن الفلسطيني على رخصة بناء لأعذار يقصد بها دائما التضييق على المواطنين وحصرهم في تجمعات ضيقة لكي يعيشوا كأنهم في الأقفاص.

لهذه الأسباب يقاوم الفلسطينيون بناء المستوطنات ويعترضون على توسيعها؛ لأنها تمثل لهم السيف المسلط على رقابهم. فالأرض بالنسبة للفلسطيني تمثل أسباب وجوده ومقومات حياته؛ ليس بما تعطيه من ثمر وغذاء فقط، بل لأنها متنفسه الذي يعيش منه وفيه كما تعيش الأسماك في المحيط.

لقد عرف الفلسطينيون قيمة (الوطن) مما عانوه وعايشوه في الشتات بعد نكبة ١٩٤٨م، ومما عاشوه ويعيشونه في مخيمات اللجوء وحرموا من الوطن وأدركوا أن من لا وطن له لا كرامة له، ولذلك فإن كل فلسطيني يدرك أن الوطن يستحق التضحية بالنفس وبذل كل نفيس، وأن الأرض تستحق الأيام كلها وليس يوما واحدا نحيي ذكراه مرة في كل سنة.

كنت قد نشرت في جريدة القدس في١٩٩٨م؛ مقالاً بعنوان: (يوم الأرض أم أيامها؟) بمناسبة يوم الأرض ذكرت فيه: (لقد تمت مصادرات كثيرة للأرض العربية من أجل بناء المستوطنات، أو توسيعها، على حساب التوسع العمراني العربي، وبحجج أمنية وغير أمنية، تماماً كما يحدث لنا هنا في هذا الجزء من الوطن الواحد. وأوضح مثال لما هو هناك، هو ما نراه من محاصرة المستوطنات، شمال رام الله للقرى والتجمعات السكانية العربية. والأكثر وضوحا، هو ما يشاهده المسافر، عندما يصل إلى مخيم الجلزون؛ حيث يرى المستوطنة هناك، وقد احتوت على بعض الأبنية العربية، وأحاطت بها إحاطة السوار بالمعصم، ولكنها الإحاطة المؤلمة واللئيمة).

وختمت مقالي السابق الذي نشرته قبل ثماني عشرة سنة: (ولذلك، سوف تظل كل الأيام أيام الأرض، وسوف تظل أيام الأرض متواصلة، ما دام الاحتلال قائما، يمارس سياسة النهب للأرض العربية الفلسطينية؛ سواء هنا أو هناك).